

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ:

فإن الله -عز وجل- لم يقل لنبيه -صلى الله عليه وسلم- فاعلم إلا في أمر عظيم، وأعظم أمر في هذا الدين هو هذه الكلمة العظيمة، كلمة التوحيد كما سيأتي -إن شاء الله عز وجل- الكلام عليها، فالله -عز وجل- يقول لنبيه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، نجعل الكلام -بإذن الله عز وجل- على هذه الآية ومعنى كلمة التوحيد في فقرات ترتب الكلام -بإذن الله.

الفقرة الأولى في عظم قدر علم التوحيد: أجل علم شرعي هو علم التوحيد ويتضح ذلك بأمور؛ منها: أن التوحيد أول أمر دعت إليه الرسل -صلى الله عليهم وسلم- كما بينته نصوص القرآن والسنة، فلم تدع الرسل إلى شيء قبل التوحيد؛ لأن التوحيد هو أصل الدين وأساسه، ومن دلائل عظم علم التوحيد، أنه أعظم عمل يلقي به العبد ربه، فلا عمل أعظم قدرًا عند الله -عز وجل- من التوحيد، ومنها أن جميع سور القرآن كما ذكر ابن

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

القيم - رحمه الله تعالى - في "مدارج السالكين" متضمنة لنوعي التوحيد؛
لأن القرآن أقسام أربعة:

أولها: الخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو توحيد المعرفة
والإثبات، يدخل فيه توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

الثاني من أقسام سور القرآن: أن يوجد فيها الدعوة لعبادة الله وحده
وترك عبادة ما سواه، أو الأمر بأنواع من العبادات أو النهي عن المخالفات،
فهذا هو توحيد الإلوهية وهو مستلزم لتوحيد المعرفة ومتضمن له.

الثالث: الخبر عن إكرام الله لأهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا وما
يكرمهم به في الآخرة، فهذا جزاء التوحيد.

الرابع: الخبر عن أهل الشرك، وما فعل الله بهم في الدنيا من النكال، وما
ينزل بهم في الآخرة من العقاب والوبال، فهذا جزاء من خرج عن حكم
التوحيد.

الفقرة الثانية: في قول الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، قال العلامة
السعدي - رحمه الله تعالى - : هذا العلم الذي أمر الله به وهو العلم
بالتوحيد فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد بل كل مضطر إليه،
وروى أبو نعيم في الحلية عن سفيان بن عيينة - رحمه الله - أنه سئل عن

فضل العلم، فقال: ألم تسمع قوله حين بدأ به ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾؟ فأمر بالعمل بعد العلم.

وقد جعل البخاري - رحمه الله تعالى - في الصحيح كلام سفيان ترجمة لباب من أبواب كتاب العلم في صحيحه، فقال: باب العلم قبل القول والعمل لقول الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فبدأ بالعلم، من هنا كان العلم بالتوحيد الذي أمر الله به عباده أعظم ما ينبغي أن يهتم به كل مسلم ومسلمة، فيفهم التوحيد ومعناه ويجتنب ما يخل بالتوحيد أو ينقصه، وهذا يشمل جميع الناس.

أما طالب العلم فيحتاج مع تحقيق علم التوحيد، أن يتفطن ويتنبه للمعاني الباطلة التي ذكرها أهل البدع بمعنى التوحيد، فإنهم نشروها في كتب العلم، ككتب الفقه والتفسير، وقد يقرأها من لا يدري بما فيها من الإشكال، فينقلها ظاناً أنها صواب، مع أنها من أخطاء أهل البدع في فهم التوحيد، فلذا سنفرد - إن شاء الله تعالى - في فقرة قادمة في شرح معنى كلمة التوحيد والتدليل على هذا المعنى من القرآن والسنة.

الفقرة الثالثة: في بيان معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" هذه الكلمة العظيمة معناها الاعتقاد والإقرار، أنه لا يستحق العبادة إلا الله، والتزام ذلك

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

والعمل به، الاعتقاد والإقرار، أنه لا يستحق العبادة إلا الله والتزام ذلك والعمل به، هذه الكلمة كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" لها ركنان، الركن الأول: هو النفي في قولنا: "لا إله" وهو يبطل الشرك بجميع أنواعه، ويوجب الكفر لكل ما يعبد من دون الله.

الركن الثاني: الإثبات في قولنا: "إلا الله"، فهو يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله، ويوجب العمل بذلك، هذا هو معنى التوحيد الذي اتفق عليه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتابعون وأئمة الإسلام، ولم يخالف في هذا المعنى إلا أهل البدع الذين نشئوا ذلك من الجهمية والمعتزلة ومن حدا حدوهم من أهل البدع.

الفقرة الرابعة: في التدليل على هذا المعنى من القرآن، اعلم أن معنى كلمة التوحيد مبين بحمد الله في القرآن أعظم البيان، ودل على معنى كلمة التوحيد آيات في كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ هو معنى الركن الأول النفي "لا إله"، وقوله: ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ هو معنى الركن الثاني الإثبات "إلا الله"، وذلك أن الطاغوت هو المعبود من دون الله، فكلمة التوحيد توجب أن يكفر بكل ما يعبد من دون الله - عز

وجل-، وهذا هو القسم الأول منها: النفي، وتحصر العبادة في الله وحده
"لا إله إلا الله".

ومن الأدلة على أن هذا هو معنى كلمة التوحيد، قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:
٢٦، ٢٧]، فقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هو معنى النفي في الركن الأول "لا
إله"، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هو معنى الإثبات في الركن الثاني "إلا
الله".

دلت نصوص القرآن على أمر آخر، وهو أن الكفار الذين دعتهم الرسل
-صلى الله عليهم وسلم- إلى هذه الكلمة قد فهموا معنى كلمة التوحيد
وردوها على الرسل -عليهم الصلاة والسلام- رد الرفض لهذه الكلمة؛
لأن الكفار علموا أن إقرارهم بكلمة التوحيد سيجلب عليهم ترك
المعبودات من دون الله وإفراد الله وحده بالعبادة.

من الأدلة على ذلك: أن الكفار قد عرفوا معنى كلمة التوحيد، أن هود
-عليه الصلاة والسلام- لما دعا قومه إلى كلمة التوحيد بقوله: ﴿اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، فقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ هذا النفي
"لا إله"، وقوله: ﴿غَيْرُهُ﴾ هذا الإثبات "إلا الله"، أجابه قومه جواب

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

العارف لمعنى كلمة التوحيد فقالوا: ﴿أَحْبَبْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فعلموا أن "لا إله إلا الله" تعني ترك المعبودات من
دون الله وإفراد الله وحده بالعبادة.

ومن الأدلة على أن الكفار قد علموا معنى كلمة التوحيد: أن كفار
قريش لما دعاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- لهذه الكلمة، ردوها رد
العارف، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ*
وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرَاكُمْ لَتَأَرِكُوا آلِهَتِنَا﴾ [الصفات: ٣٥، ٣٧]، فعلموا أن هذه الكلمة تبطل
عبادة آلهتهم، وكل ما عبد من دون الله تعالى؛ ولهذا فإنهم لما دعاهم النبي
-صلى الله عليه وسلم- لقول: "لا إله إلا الله"، أجابوه قائلين: ﴿أَجْعَلْ
الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥].

قال ابن كثير في بيان معنى هذه الآية: أي أزعم أن المعبود واحد لا إله
إلا هو، أنكروا ذلك وتعجبوا من ترك الشرك، فإنهم قد تلقوا عن آبائهم
عبادة الأوثان، فلما دعاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى خلع ذلك من
قلوبهم وإفراد الله بالوحدانية تعجبوا وقالوا: ﴿أَجْعَلْ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾.

وقد روى الطبري سبب قول المشركين هذه الكلمة، فروى بسنده عن
ابن عباس -رضي الله عنهما- أن كفار قريش اشتكوا النبي -صلى الله عليه

وسلم - لعمه أبي طالب، وقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويقول ويقول، فدعا أبو طالب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: يا ابن أخي ما بال قومك يشتكونك؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «إني أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب وتدفع لهم بها العجم الجزية»، فقالوا: كلمة واحدة لَنُعْطِيَنَّكَهَا وأبيك وعشر كلمات، قال: «قولوا لا إله إلا الله»، فقاموا غَضَابًا وقالوا: أجعل الآلهة إله واحدًا، فعلموا من معنى كلمة لا إله إلا الله، أنها تبطل جميع الآلهة وأن لا يعبد إلا الله وحده.

قلنا: إن هذا المعنى هو الذي دعت الرسل -عليهم الصلاة والسلام- الناس إليه، ومضى على هذا الفهم صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن صار على نهجهم، وأدلته -كما ترى- واضحة في القرآن.

سننقل -إن شاء الله تعالى- ما يبين أن هذا هو معنى كلمة التوحيد من كلام أهل العلم بالتفسير، ونركز على كلام شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، فإنه -فيما أعلم- أكثر المفسرين عناية بمعنى كلمة التوحيد، في الآيات التي ورد فيها ذكر هذه الكلمة في جميع القرآن، حتى إنه يفسر الآيات في كل مرة كأنه ما فسرها في نظائر أخرى -رحمة الله عليه-، فسر -رحمه الله تعالى- هذه الكلمة تفسيرًا مجملًا عامًا وفسرها تفسيرًا مفصلاً،

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

نسوق من كلامه - بإذن الله تعالى - المجمع، ثم نبين ذلك بكلامه المفصل.

فمن كلام الطبري المجمع في معنى كلمة التوحيد، قوله عند آية غافر: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٣] قال: لا معبود بحق تجوز عبادته وتصلح الألوهة له إلا الله، وكرّر هذا في مواضع من تفسيره للآيات التي وردت فيها كلمة التوحيد، حيث فسر آية سورة "هود" ﴿وَأَنَّ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: ١٤] بقوله: لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله، الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة وأفردوا له العبادة.

وقال عند آية سورة "طه": ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي، فأخلص العبادة لي دون كل ما عبد من دوني، والمواضع كثيرة الحقيقة، كثيرة جداً في التفسير، ففسر كلمة التوحيد في هذه الآيات بأنها تعني إفراد الله تعالى وحده بالعبادة، وقد يقتصر الطبري عند كلامه على معنى كلمة التوحيد على أن المراد بها النهي عن الشرك في العبادة، كما قال عند آية سورة "البقرة": ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ معناه: النهي عن أن يُعبد شيء غير الله الحي القيوم، ثم قال: لا إله سواه، لا معبود سواه يعني: ولا تعبدوا شيئاً سواه، اقتصر على أن معناها النهي عن الشرك في

العبادة بتلازم ما بين إخلاص العبادة وترك الشرك، فلذا قرن بين الأمرين في مواضع أخرى من تفسيره.

فقال عند آية سورة "غافر" ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا معبود بحق تجوز عبادته وتصلح الألوهة له إلا الله، ثم قال: لا تشركوا في عبادته شيئاً سواه، وقال عند آية سورة "النمل" ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، ثم قال: ولا تشركوا به شيء، فهذا جانب من تفسير الطبري المجمل لكلمة التوحيد.

أما تفسيره المفصل لكلمة التوحيد، فقد نص فيه على أن كلمة التوحيد لما كان معناها ما سمعت، استوى في الوصف بالشرك جميع من أشركوا المخلوقين في العبادة، سواء كان هؤلاء المخلوقين الذي أشركوا في العبادة من ذوي المكانة العلية، كالأنبياء والملائكة والأولياء الصالحين أو كانوا من غيرهم، وفي هذا يقول الطبري عند آية "آل عمران" ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ما خلاصته: أن ذلك خبر من الله أن الإلوهية خاصة به، وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا له، فغير جائز لعباده عبادة غيره؛ إذ كان كل معبود سواه ملكه، وكل معظم غيره فخلقه، معرفاً من كان مقيماً على عبادة وثن أو صنم أو شمس أو قمر أو إنس أو ملك أو غير ذلك من الأشياء التي

كانت بنو آدم مقيمة على عبادته، أنه مقيم على ضلالة بصرف العبادة إلى غيره.

فتحصل من مجموع كلامه - رحمه الله تعالى -، المجمع والمفصل: أن معنى كلمة التوحيد إفراد الله بالعبادة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله وحده، فهو المستحق لها دون ما سواه؛ لأن ما سواه تعالى فهو خلقه وملكه، فلا يجوز أن يجعل له أي شيء من العبادات سواءً أكان ذلك الذي جعلت له العبادة من الإنس المكرمين، كالأنبياء والصالحين أو كان من الملائكة أو كان سوى ذلك من أي معبود أقام المشركين على عبادته، من هنا ذهب الطبري إلى أن من عبدوا من دون الله من المؤمنين، سيتبرؤون كما تبرأ الملائكة وعيسى -عليهم الصلاة والسلام- من عابديهم يوم القيامة، وذلك ما ذكره عند آية سورة "الفرقان" ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الفرقان: ١٧]، إلى قوله: ﴿سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الفرقان: ١٨]، أن الملائكة وعيسى ومن عبد من دون الله من المؤمنين هم الذين يتبرءون أن يكون لهم ولي غير الله.

فنص هنا على أن الذي يجيب هذا الجواب هم المعبودون ذو المكانة العلية من الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين، والصالحون هم الذين أرادهم الطبري في قوله بعد ذكر الأنبياء: ومن عبدوا من دون الله من أمير المؤمنين،

سمى الطبري هؤلاء الصالحين الذي عبدوا من دون الله تعالى بأولياء الله، كما في آية سورة "هود" التي ذكر الله تعالى فيها مصير من اتخذ مع الله شركاء. بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [هود: ٢١]، قسم الطبري المعبودين من دون الله إلى قسمين: أحدهم الأصنام التي تصير عدماً ويصير عابدها إلى النار.

الثاني: من المعبودين أولياء الله الذين يسلك بهم إلى الجنة، أما عابدهم فيسلك بهم غير مسلكهم؛ إذ يصيرون إلى النار، وفي هذا يقول الطبري - رحمه الله تعالى - في تفسير آية "هود": فسلك ما كان يدعون إليها من دون الله غير مسلكهم؛ لأنه سلك بهم إلى جهنم وصارت آلهتهم عدماً؛ لأنها كانت في الدنيا حجارة أو خشب.

ثم قال في القسم الثاني من المعبودين - وهذا هو المهم -: أو كان لله ولي، فسلك به إلى الجنة، وذلك غير مسلكهم، يعني غير مسلك من عبدوهم من دون الله.

مراده بالولي هنا: من عبد من دون الله من الأنبياء والصالحين الذين كانوا على الحق، ولكن قوم ممن أحبواهم سلكوا غير مسلكهم، فغلوا فيهم حتى وصلوا إلى حد الشرك، وقد أوضح الطبري ذلك بما رواه عن ابن

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

إسحاق عند آية " الأنبياء " ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ففي بيان هؤلاء الذين يبعدهم الله عن النار من المعبودين من دون الله، يروي الطبري -رحمه الله تعالى- قول ابن إسحاق -رحمه الله تعالى-، أي عيسى ابن مريم وعزير ومن عبدوا من الأجر والرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله، بذلك نعرف أن الطبري -رحمة الله تعالى- اجتهد هذا الاجتهاد العظيم في بيان معنى كلمة التوحيد، وأوضح أن معناها في القرآن لا معبود بحق إلا الله، وأنها تعني حصر استحقاق العبادة لله، وإفراده تعالى بها دون ما سواه، ووجوب خلع كل معبود مع الله، سواء كان من الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين أو غيرهم ممن صرفت لهم العبادة من المشركين، وأن هذا هو مبعث الرسل -صلى الله عليهم وسلم- أمهم إليه، فإنهم إنما دعوهم لإفراد الله بالعبادة.

لماذا لم تدعُ الرسل أقوامهم إلى الإقرار بالله -عز وجل-، وأنه هو خالقهم ورازقهم؟

الجواب واضح في القرآن: وهو أن المشركين كان مُقرين أن الله تعالى هو ربهم ومدبر أمورهم، لكنهم كانوا يجعلون معه تعالى شريكاً في العبادة، والأدلة على هذا كثيرة في القرآن، منها قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَّيْنِ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿[الزخرف: ٨٧]﴾، ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ثم
الآية الجامعة في سورة "يونس" ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَمَّنْ
يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ
الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، فالرسل -

عليهم الصلاة والسلام- طلبت من هؤلاء الذين يقرون أن الله هو ربهم،
طلبت منهم أن يفردوه بالعبادة؛ أما الربوبية فهذه الأمم مقرة بها، كما لا
يخفى على من تأمل آيات القرآن؛ ولهذا كان من ظن أن التوحيد الذي
جاءت به الرسول -عليهم الصلاة والسلام- هو توحيد الربوبية غير عارف
ولا عالم بحقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل -عليهم الصلاة والسلام.

فهذا ما يتعلق ببيان معنى كلمة التوحيد من خلال آيات القرآن، ومن
خلال تفسير هذا العلم الكبير من علماء التفسير، وهو الذي يسمى بشيخ
المفسرين -رحمه الله تعالى- أبو جعفر ابن جرير الطبري -رحمة الله
تعالى عليه.

بذلك قد نكون فسرنا كلمة التوحيد من خلال نصوص القرآن،
والنصوص في القرآن كثيرة، وتتبع معانيها في القرآن علم كبير من العلوم

العظيمة التي ينبغي أن يحرص عليها طالب العلم، بأن يعرف معنى التوحيد من القرآن، ومثل ما ذكرنا كلام ابن جرير وكذلك كلام ابن كثير من أحسن ما يكون في معاني هذه الآيات التي فيها كلمة التوحيد في القرآن.

يبقى الآن بيان معنى كلمة التوحيد في أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، المصدر الذي سنأخذ منه بيان معنى كلمة التوحيد من أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- هو صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج -رحمه الله تعالى- كما تعلم لم ييؤب أبواباً كالبخاري وغيره على الحديث، لكن ينبغي لطالب العلم أن يتفطن لأمر مهم في صحيح مسلم، وهو أن مسلماً يسوق الأحاديث سوقاً غاية في الدقة، كما سترى -إن شاء الله تعالى- كيف أنه فسر معنى كلمة التوحيد بإيراد الروايات التي يكون فيها كلمة التوحيد لا إله إلا الله، ثم يورد بعدها رواية تبين معنى لا إله إلا الله من نفس حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا في الحقيقة علم عظيم جداً ولا أعلم كتاباً من كتب السنة اعتنى ببيان معنى التوحيد أجل من عناية الإمام المسلمين -رحمة الله تعالى عليه-، مع أنه لم ييؤب لكن يقول: يا طالب العلم انظر هذا الحديث وانظر الحديث الذي بعده، فإنه يبين لك معنى التوحيد كما سأعطيك -إن شاء الله تعالى- النماذج على

هذا مما أورده -رحمه الله تعالى- من النصوص، وينبغي لطالب العلم أن يدقق في بيان هذه النصوص.

فمن ذلك أن الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- ساق حديث عمر -رضي الله عنه- المشهور، الذي فيه أن جبريل سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإسلام، فأجابه بقوله: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله..» الحديث. ثم روى مسلم هذا الحديث من طريق أبي هريرة بلفظ «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيء»، ففسر كلمة التوحيد لا إله إلا الله الواردة في اللفظ الأول بما بين معناها في اللفظ الثاني، من أنها عبادة الله وحده دون شريك، ثم ساق مسلم -رحمه الله تعالى- حديث عمر مرفوعاً: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله»، ثم رواه من طريق ابن عمر بلفظ «بني الإسلام على خمس على أن يوحد الله»، وفي لفظ «بني الإسلام على خمس على أن يعبد الله ويكفر بما دونه»، ففسر كلمة لا إله إلا الله الواردة في حديث عمر بما بين المراد منها في اللفظين الآخرين من أنها توحيد الله في عبادته والكفر بما دونه من الشركاء والأنداد.

ومن ذلك أنه ساق حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- في قدوم وفد عبد القيس، وفيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لهم: «أمركم بأربع: الإيمان بالله، شهادة أن لا إله إلا الله»، ثم ساق مسلم هذا الحديث من

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

طريق أبي سعيد بلفظ «أمركم بأربع اعبدوا الله ولا تشرکوا به شيء»، ففسر كلمة لا إله إلا الله الواردة في اللفظ الأول بأنها تعني عبادة الله دون شريك الواردة في اللفظ الثاني.

وهكذا روى - رحمه الله - حديث ابن عباس في بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذًا - رضي الله عنه - إلى اليمن، وفيه قوله: «فادعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله»، ثم ساقه بلفظ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله - عز وجل -، فإذا عرفوا الله فأخبرهم..» الحديث، ففسر كلمة التوحيد الواردة في اللفظ الأول بما ورد في اللفظ الثاني من أنها عبادة الله، وأن من حقق ذلك فهو الذي قد عرف الله تعالى.

ومن ذلك أن مسلمًا روى حديث طارق بن أشيم، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه..» الحديث، ثم ساقه مسلم بلفظ «من وحد الله»، فبين أن توحيد الله الوارد في اللفظ الثاني، يراد بهما في اللفظ الأول وهو أن ينطق الأول كلمة التوحيد ويكفر بما عبد من دون الله، فبعد أن وضع مسلم - رحمه الله تعالى - من خلال النصوص المتقدمة أن معنى كلمة التوحيد هو عبادة الله دون شريك، روى حديث معاذ - رضي الله عنه - الذي فيه: أن هذا المعنى العظيم لكلمة التوحيد هو حق الله الأعظم على عباده حيث قال - صلى الله

عليه وسلم -: «هل تدري ما حق الله على العباد؟ فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشرك به شيء».

فتأمل كيف بين مسلم -رحمه الله تعالى- بما ساقه من هذه النصوص، أن معنى كلمة التوحيد هو عبادة الله وحده، والكفر بما عبد من دونه تعالى، وأن هذا هو حق الله الأعظم على عباده، وبذلك الذي نقلنا من روايات مسلم في بيان معنى كلمة التوحيد يتضح المعنى المقصود بهذه الكلمة في نصوص السنة بعد أن اتضح المقصود بها في نصوص القرآن -بحمد الله.

الإخوة يقولون لإلقاء الأسئلة يرسل سؤال على الواتس.

{لطرح الأسئلة أو لإلقائها إلى الشيخ، الرجاء إرسال السؤال على الواتس ٠٥٥٢٣٢٣٢٥٩ رجالاً ونساءً، يلقي السؤال على الواتس -إن شاء الله- يطبع ويعرض على الشيخ}.

نأتي الآن لذكر شروط كلمة التوحيد، علمنا الآن معنى كلمة التوحيد من خلال نصوص القرآن والسنة، هذه الكلمة لا شك أنها كلمة تقال باللسان دون أن يترتب عليها شيء، بل هي أعظم الكلام ولا بد أن يكون قائلها قائماً بشروطها العظيمة، وشروط لا إله إلا الله سبعة، جمعها الناظم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

فقوله - رحمه الله -: "علمٌ" يعني أن من شروط لا إله إلا الله العلم، العلم بماذا؟ العلم بمعناها الذي سمعته الآن حتى يكون قائل لا إله إلا الله إذا نطقها بلسانه ناطقًا لشيء يعلم معناه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

يقول البغوي: وهو يعلمون بقلوبهم ما نطقت به ألسنتهم، فشهادة الحق هي لا إله إلا الله، أعظم الحق لا إله إلا الله، فإذا نطق بها بلسانه، فلا بد أن يكون عالمًا بها بقلبه، ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم - كما روى مسلمًا من حديث عثمان - رضي الله عنه -: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»، فلا بد أن يكون عالمًا بمعنى الكلمة التي نطق بها، ولهذا إذا لقن الرجل الذي دخل الإسلام كلمة التوحيد لا بد أن يبين لها معناها؛ لأنه إذا قال لا إله إلا الله وهو رجل أعجمي لا يدري ماذا تعني هذه الكلمة، لا بد أن تترجم له ويوضح له معنى لا إله إلا الله، العلم هو المنافي للجهل بها.

الشرط الثاني: اليقين، أصل اليقين من قولهن: "يَقِنُ الماء في الإناء إذا استقر"، فاليقين هو استقرار هذا الأمر العظيم في القلب بحيث لا يتطرق إليه الشك، وفيه الحديث العظيم الذي رواه مسلم، أن النبي - صلى الله

عليه وسلم - كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة»، فدل على أن قائل لا إله إلا الله لا بد أن يكون مستيقناً بها، فأما إذا كان شاكاً أو مرتاباً كالمنافقين، فإنها لا تنفعه.

الشرط الثالث: الإخلاص، بأن يكون قائل لا إله إلا الله مخلصاً، يريد الله تعالى بها، وفيه الحديث «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»، والإخلاص ينافي الشرك؛ لأن المنافقين يقولونها وهم غير صادقين غير مخلصين.

الشرط الرابع: الصدق، بأن يكون قائل لا إله إلا الله صادقاً، بأن ينطق بلسانه وقد صدق قلبه ما نطق به لسانه، ولهذا كذب الله المنافقين حين قالوها؛ لأنهم كانوا كاذبين في نطقها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، الآن هذه الكلمة ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هي كلمة حق لكن الله حكم عليهم بأنهم غير مؤمنين، لماذا حكم عليهم بأنهم غير مؤمنين مباشرة؟ لأن هناك شرط أو أكثر من شرط قد اختل، فاختل شرط بينته الآية التي بعدها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿البقرة: ٨ - ١٠﴾، فدل على أنهم حين قالوا:
﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بألستهم كانوا كاذبين، ولهذا قال الله: ﴿وَمَا هُمْ
بِمُؤْمِنِينَ﴾ لعدم وجود شرط الصدق في قولهم.

ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم-: «من قال لا إله إلا الله صدقاً من قلبه»، فإذا هو نطق بـ لا إله إلا الله ولم يكن صادقاً من قلبه، فإنها لا تنفعه، علم يقين وإخلاص وصدقك معاً محبة، محبة يعني يكون قائل هذه الكلمة محباً لها ومحباً لما يترتب عليها من ترك المعبودات من دون الله، فأما إذا كان يقول لا إله إلا الله بلسانه، لكنه إذا أمر بترك الشرك الذي لا بد من تركه لمن قال لا إله إلا الله، أبى ذلك وأبغض من دعاه إلى ذلك، فإنه في هذه الحالة لا يكون محباً ولن يحقق هذا الشرط، فلا بد من محبة الكلمة ومحبة ما دلت عليه ومحبة أهلها القائمين بها.

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد

بأن ينقاد لما دلت عليه هذه الكلمة العظيمة، فيكون عنده انقياد وعمل، لا أن ينطقها بلسانه غير منقاد للعمل الذي يتوجب لمن قال لا إله إلا الله، ثم قال: "والقبول لها" بأن يقبل هذه الكلمة ويقبل ما يترتب عليها أيضاً من ترك الشرك، فلهذا من حقق هذه الشروط، فإنه يكون محققاً لـ لا إله إلا الله.

تأتي مسألة: هل عامة المسلمين من الموحدين الذين لا يستطيعون

الإفصاح عن معنى كلمة لا إله إلا الله؟ هل يضرهم ذلك؟

لا يضرهم؛ لأنهم يقيمون معناها وإن لم يستطيعوا التعبير بألسنتهم، وقد سألت سماحة شيخنا ابن باز -رحمه الله تعالى- عن العامي الذي لا يستطيع أن يفصح عن معنى كلمة التوحيد بأنها تعني النفي والإثبات، وأن النفي معناه نفي المعبودات من دون الله، والإثبات هو إفراد الله بالعبادة، فقال: لا يضرهم؛ لأنهم إذا كان محققاً لا إله إلا الله، فإنهم في هذه الحالة قال بـ لا إله إلا الله، وإن لم يستطع أن يفصح عن معنى هذه الكلمة، بل إن بعض العامة يقوموا بـ لا إله إلا الله قياماً عظيماً أشد من بعض من يستطيع أن يفصح بمعناها، ولأجل ذلك ينبغي أن تتأمل هذه المسألة -مسألة العلم العظيم بمعنى لا إله إلا الله وشروط هذه الكلمة، وأيضاً ما ذكرنا من ركن النفي والإثبات المتعلق بهذه الكلمة.

نأتي إلى الفقرة الخامسة: وهي أن كثيراً من الناس تعرض للإمام

المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمة الله تعالى عليه- الذي جدد الله تعالى به من درس من معالم التوحيد في القرن الثاني عشر، ونفع الله تعالى به نفعاً عظيماً في بيان التوحيد والتحذير من الشرك، وقد بين الإمام المجدد -رحمه الله تعالى- معنى هذه الكلمة، وكان السائل في كثير

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

من البلدان لمعنى كلمة التوحيد غير هذا المعنى الذي سمعت، فكان الإمام
المجدد -رحمه الله تعالى- كما ذكر المصنفون في سيرته، قد لقي عددًا من
علماء المسلمين خارج بلده، فإنه قد رحل -رحمه الله تعالى- إلى بغداد،
وإلى البصرة، وإلى الأحساء، وإلى مكة، وإلى المدينة، وأخذ الحديث عن
علماء الحديث وعلى رأسهم شيخ الحديث في وقته العلامة المحدث
محمد حياة السندي -رحمة الله تعالى عليه-، وقرأ -رحمة الله تعالى عليه
وعلى غيره من المحدثين- الكتب الستة كاملة ومسند الإمام أحمد كاملة
وأخذ إجازة بها، فلما كان الوضع السائد في نجد وفي غيرها من البلدان في
حقيقة التوحيد هو المعنى الموجود عند المتكلمين -كما سيأتي توضيحه-
أنكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- هذا المعنى الذي قد
أنكره السلف قبله، فإن السلف الصالح -رحمهم الله تعالى- وعلماء الأمة
من بعدهم، لما قال أهل الكلام في التوحيد المعنى الباطل الذي فسروا به
كلمة التوحيد، أنكر ذلك عليهم السلف أيما إنكار ضللوهم وبدعواهم
وأوضحوا أنهم لم يفهموا حقيقة معنى التوحيد الذي بعث الله تعالى رسوله
به -صلى الله عليه وسلم-.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- تلقى عن شيوخه الأولين
أن معنى كلمة التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الرب القادر على الاختراع،

وهذا هو المعنى الذي جرى عليه المتكلمون من المعتزلة والجهمية ومن بعدهم، وكان هذا هو السائد في منطقتهم وفي عدد من البلدان، فلماذا قال كلمته المشهورة، من قال من علماء العرض من مشايخه أو من مشايخهم بأنه يفهم معنى كلمة التوحيد، فقد كذب، لماذا قال الشيخ هذه الكلمة؟ لأن المعنى السائد عندهم ليس معنى لا إله إلا الله الذي دلت عليه النصوص وكان عليه سلف الأمة الصالح، بل هو المعنى الموجود عند الجهمية وعند المعتزلة.

حتى يتبين هذا، لا بدّ من توضيح هذه المسألة أولاً في كلام المتكلمين -المعتزلة وغيرهم-، ثم نوضح موقف علماء السلف وعلماء الأمة من هذا المعنى الذي اخترعه المتكلمون لهذه الكلمة، وبعد ذلك يتضح مراد الشيخ -رحمه الله تعالى- بإنكاره هذا المعنى الموجود في بيئته.

اعلم أن المتكلمين من المعتزلة والجهمية ومن جاراتهم، قد ذهبوا إلى أن معنى كلمة التوحيد هو أفراد الله تعالى بالربوبية وأن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- إنما أتت بدعوة هؤلاء إلى أن يقرروا بأن الله تعالى هو ربهم، والحق أن المرء يعجب غاية العجب، كيف يظنون أن هذا هو معنى كلمة التوحيد الذي جاءت بها الرسل مع صريح تفصيل الله تعالى لدعوة الرسل، فقال -عز وجل-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

اللَّهُ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩]، فنوح -عليه الصلاة والسلام- طلب من قومه أن يفرّدوا الله بالعبادة ولم يطلب منهم أن يقرّوا أن الله ربهم؛ لأنهم مقرّون أن الله تعالى هو ربهم، فطلب منهم -عليه الصلاة والسلام- أن يفرّدوا الله تعالى بالعبادة، هذه الكلمة ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ قالها جميع الأنبياء، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى في جميع الرسل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فالرسل -عليهم الصلاة والسلام- تطلب منهم أن يفرّدوا الله تعالى بالعبادة؛ لأن هذه الأمم -كما تقدم- تقرّ أن الله تعالى هو ربهم، ولهذا قال تعالى أيضًا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، اعبدوا الله مفردين له العبادة تعالى، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وقلنا إن معنى "الطاغوت" هو المعبود من دون الله إذا كان راضي، فقولهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هو إلا الله، ركن الإثبات في كلمة التوحيد، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ هو النفي في قولك لا إله، والنصوص الدالة على أن

الكفار يقرون بأن الله تعالى هو ربهم، قد ذكرناها كقوله تعالى: ﴿وَلَّيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ﴾، ﴿وَلَّيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، جوابهم واحد، أن ذلك لله - عز وجل.

فمن عجب لا ينقضي؛ أن يأتي هؤلاء المبتدعة ليقولوا: إن معنى كلمة التوحيد هو إثبات أن الله تعالى هو قادر على الاختراع ويعيد معنى كلمة التوحيد للربوبية التي آمن بها المشركون، فلماذا قال أهل العلم: إن هؤلاء لم يفهموا حقيقة التوحيد الذي بعثت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام-، وهذا مراد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- حين قال في البيئة التي كان فيها هذا المعنى: أنكم لم تفهموا التوحيد الذي بعث الله بهم رسله - عليهم الصلاة والسلام.

وقد سلك المتكلمون في تقرير التوحيد مسلماً مبتدعاً، حيث ربطوا بما سموه دليل الحدوث وقاموا بسرد مجموعة من المصطلحات المتعلقة به، كالأعراض والأجسام والجواهر ولها معاني عندهم، وقالوا: إن من عرف التوحيد على هذه المصطلحات وعلى هذا القدر، فإنه قد يكون قام بالتوحيد الذي جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام-، وبإجماع أهل العلم النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يدعُ مطلقاً إلى هذا النوع، ولهذا أنكر أهل العلم عليهم، ماذا قالوا؟ كل هذا من الابتداع ومن تغيير التوحيد

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

الذي جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى هذا المعنى الباطل الذي أحدثتموه، فلاجل ذلك عدّ أهل العلم هذا التصرف من المتكلمين، عدوه إحدائاً وابتداعاً في معنى التوحيد، وعدوه مقابلاً للتوحيد المعلوم عند المسلمين.

ولها ما قال الإمام ابن سريج الشافعي -رحمه الله تعالى- حين سُئل ما التوحيد، قال: توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- بإنكار ذلك، رواه الهروي في ذم الكلام وقوام السنة في كتاب الحجة.

مراد ابن سريج -رحمه الله تعالى- ذم من جعلوا معنى التوحيد مرتبطاً بإثبات الربوبية، وذهبوا في التدليل عليه هذا المذهب في إثباته بما سموه دليل الحدوث، كما أنكر ابن سريج -رحمه الله تعالى- هذا التفسير للتوحيد، فقد أنكره أيضاً الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، فإنه أورد كلام المتكلم الشهير بشر المريسي في معنى التوحيد، فلما ذكره وذكر عباراته قال: إن لم يوحد الله -عز وجل- إلا من قام بهذه التخاليط فما في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- موحد، يعني أنكم قد ابتدعوا توحيداً إن

كان هذا هو التوحيد عندكم، فعلى هذا ليس في المسلمون موحد؛ لأن هذا معنى مبتدع أتيتم به بلا برهان ولا دليل.

هذا المعنى الذي كان عليه المتكلمون هو الذي كان منتشرًا زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان عليه الشيوخ الأولون، فلما درس على علماء الحديث - كما قلنا - أدرك أن هذا المعنى المنتشر للتوحيد هو المعنى الذي ذمه السلف الصالح وأنكروه على المتكلمين، فلذا قال الشيخ محمد فيمن نشره من علماء العارض: أنكم لم تفهموا التوحيد الذي بعث الله تعالى به رسوله - صلى الله عليه وسلم -، والسبب أنهم كانوا ينشرون المعنى الذي قرره المتكلمون من المبتدعة، إذ جد الشيخ محمد - رحمه الله تعالى - في نشر المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص وكان عليه السلف الصالح - رضي الله عنهم - في معنى التوحيد، واعتنى عناية كبيرة ببيان معنى التوحيد، وانظر عبارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتبه، في معنى كلمة التوحيد تجدها عبارة الطبري التي نقلناها قبل قليل لك.

فإنه يقول في معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، هذه عبارة الطبري في التفسير، هي نفس عبارة الطبري وعبارة أهل العلم السابقين - رحمة الله تعالى عليهم -، لهذا قال الشيخ فيمن فسروا كلمة التوحيد في بيئته بتفسير المتكلمين بأنكم لم تفهموا التوحيد الذي جاءت به الرسل -

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

صلى الله عليهم وسلم - حين زعمتم أن المراد بكلمة التوحيد أن يقر العبد بأن الله تعالى هو ربه ولا شك أن هذا - كما قلنا - ليس بصواب، بل المعنى الذي دلت عليه النصوص لكلمة التوحيد، هو أفراد الله بالعبادة.

سبق قلنا إلى تجهيل هؤلاء المتكلمين ابن سريج كما نقلناه من كلامه، وجهلهم أيضًا الإمام الدارمي - رحمه الله تعالى - وأنكر الأئمة السابقون، أبو حنيفة ومالك - رحمهم الله - على عمرو بن عبيد المعتزلي الذي هو أول من فتح للناس الكلام في التوحيد بهذه الطرق، وأنكر هذا المعنى أيضًا الإمام الشافعي على ابن علي المعتزلي، وقال: إنه يخالفه في كل شيء حتى في قوله لكلمة التوحيد؛ لأن معنى كلمة التوحيد عند الشافعي يختلف عن معناها عند هذا المعتزلي.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - وهذه مسألة مهمة لطالب العلم - لأن هناك من يهاجم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فيقول: إن محمد بن عبد الوهاب قال كلمة ما قالها أحد قبله، هذا غير صحيح، هذه الكلمة في أن من فسر كلمة التوحيد بأنها تعني القدرة على الاختراع وأن هذا هو الذي دعت إليه الرسل، قد قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في درء تعارض النقل والنقل بأن من فسر كلمة التوحيد بأنها تعني القدرة على الاختراع، فإنه لم يعرف التوحيد الذي بعث الله به رسله، هذه نفس عبارة الشيخ

محمد - رحمه الله تعالى -، نفس العبارة التي قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد قالها شيخ الإسلام قبله، ولا شك في ذلك؛ لأنه من يظن أن نوحًا أرسل إلى قوم كهؤلاء ليقرؤا بأن الله هو ربهم، ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فهو لم يفهم التوحيد الذي دعا إليه نوح، نوح يقول: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، هذا هو موضوع الدعوة.

وهكذا النبي - صلى الله عليه وسلم - حين دعا المشركين إلى قول لا إله إلا الله، ماذا قالوا؟ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا ﴿[الصفات: ٣٥، ٣٦]، فهموا من كلمة التوحيد أنها تعني ترك الآلهة، ترك المعبودات من دون الله، وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة - كما ذكرنا - في نصوص القرآن التي تقدمت.

بناءً عليه نعرف السبب، ما الذي ترتب على تفسير كلمة التوحيد هذا التفسير من قبل أهل البدع؟ ترتب عليه أمر بالغ الخطورة، وهو أنه صاروا إذا رأوا من يصرف العبادة لغير الله - عز وجل - كمن يدعوا أصحاب القبور ويذبح لهم من دون الله عز وجل، يقولون: هؤلاء ليسوا بمشركين. لماذا؟ قالوا: لأن معنا كلمة التوحيد الإقرار بأن الله هو الرب المدبر، وهؤلاء يقولون أن الله تعالى هو الرب المدبر.

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

قال أهل العلم: لما ظننتم أن معنى كلمة التوحيد هو الإقرار بأن الله هو المدبر وأنه هو الخالق، ترتب على ذلك أنكم رأيتم الشرك فلم تفهموا أنه هو حقيقة الشرك؛ لأن عندنا مسألة، قاعدة كبيرة في العقيدة، من عرف معنى الإيمان عرف معنى الكفر، ومن خلط ولم يعرف معنى الإيمان لا بدَّ أن يخلط في معنى الكفر، من عرف التوحيد الذي بعث الله به رسول -صلى الله عليه وسلم- والرسول جميعهم؛ سيعرف معنى الشرك، فإن جهل معنى التوحيد فسيجهل الشرك، ولهذا كانوا يرون هؤلاء يعبدون القبور عبادة ويذبحون لأهلها ويدعونهم من دون الله، ويقولون كلمة التوحيد معناها الإقرار بأن الله هو الخالق، وهؤلاء وإن فعلوا ما فعلوا فهم مقرون أن الله تعالى ربهم.

فقال أهل العلم: إن المشركين السابقين، بنص القرآن يقرون بأن الله ربهم، وأنه تعالى هو مدبر أمرهم، وأنه هو خالقهم، فلو كان هذا هو معنى لا إله إلا الله لما ردها المشركون على الرسل؛ لأنهم كانوا يقرون بها.

من أجل ذلك ترتب على المعنى الخاطيء لكلمة التوحيد، أن الشرك إذا رأوه قالوا إن أهله ليسوا بمشركين، لماذا؟ لما ذكرت من أن من اضطرب عنده معنى التوحيد، لا بدَّ أن يضطرب عنده معنى الشرك.

أعجب من هذا أنهم قالوا: أن من قال لا إله إلا الله فإنه لا يكفر مطلقاً، حتى لو أنكر اليوم الآخر، وأنكر الجنة والنار، قال الإمام المجدد محمد عبد الوهاب -رحمه الله-: كيف تقولون هذا وقد نص الفقهاء على أن مثل هذه الأمور تعد كفراً ناقلاً عن الملة؛ لأن من أنكر اليوم الآخر فإنه يكفر، قالوا: فإنهم يقولون لا إله إلا الله، قال: نقضوا لا إله إلا الله بجحدهم اليوم الآخر، جحدهم الجنة جحدهم البعث جحدهم النار، قالوا: لا، وإن أنكروا اليوم الآخر فهم يقولون لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله معناها أن التدبير والخلق عند الله، وهم يقولون أن المدبر هو الله، وإن أنكروا اليوم الآخر، فخالفوا بذلك إجماع أهل العلم -رحمهم الله تعالى- في أن من أنكر هذه الأمور المعلومة من الدين بالضرورة؛ فإنه يكفر خاصة وأن أولئك الذين كانوا يجحدون بزمن الشيخ كانوا يعلمون أنها مما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكان الشيخ ينبه على هذا بأن يقولوا بأنهم لم يكونوا يجهلون مثل هذا الأمر، بل قد كانوا يعلمون أن هذا مما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-.

لذلك تعلم أن من الخطر الكبير أن يجهل معنى التوحيد؛ لأنه إذا جهل معنى التوحيد الحقيقي وقع الشرك أمام ناظر الناس ولم يدروا أنه شرك؛ لأنه إذا قال إن معنى لا إله إلا الله الإقرار بأن الله هو الرب المدبر، فمهما

فاعلم أنه لا إله إلا الله | فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري

فعل الناس من هذه الشراكيات، فإنهم يقولون وإن فعلوها فإنهم يقرون بأن الله تعالى هو المدبر؛ لكن لو علموا أن معناها أفراد الله تعالى بالعبادة كما دلت عليه النصوص من القرآن والسنة وكلام الطبري -رحمه الله- الذي سقناه وساقه عن غيره من أهل العلم، وما فسر به النبي -صلى الله عليه وسلم- في نفس الأحاديث التي ساقها مسلم، أن معنى لا إله إلا الله هو عبادة الله وحده دون شريك؛ إذا علم الناس هذا المعنى فإنهم إذا رأوا من يصرف العبادة لغير الله تعالى أنكروا ذلك عليه، قالوا: وقعت في الشرك، أما إذا كانوا يظنون أن معنى لا إله إلا الله هو إثبات أن الله هو الرب فإنهم يقولون ويثبتوا أن الله تعالى هو الرب وإن وقع منهم ما وقع من صرف العبادة لغير الله.

بناءً عليه تعلم عظم قدر هذا العلم العظيم، علم التوحيد، أعظم علم من علوم الشريعة على الإطلاق هو علم العقيدة، وهو الذي قولنا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إن الأنبياء جميعاً -عليهم الصلاة والسلام- يبدعون به، وهو الذي كان يأمر -صلى الله عليه وسلم- من يرسلهم إلى البلدان بأن يبدعوا به، فقال لمعاذ: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليهم شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول، فإن هم أطاعوا؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات... إلى آخر الحديث».

فأول ما يبدأ به هو هذا التوحيد العظيم وهو الذي يجب أن يعرفه المسلمون وأن يلقنوه صبيانهم، وأن يتعلمه المسلم لأنه ضمانة عظيمة لعدم الشرك، لكن إذا جُهل معنى التوحيد وقع الشرك والناس لا يدرون أنه شرك، نسأل الله أن يثبتنا بالقول والثابت وأن يقبضنا بالتوحيد والسنة، إنه على كل شيء قدير، -والله تعالى أعلم- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

حولت المادة الصوتية إلى نصية كما ألقيت ولم تتم مراجعتها من قبل الشيخ